

**مواقف محبّ الدين الخطيب من القضايا السياسية والعسكرية في شبه الجزيرة العربية
"1926-1948م"**

**Mohebedine Al Khatib's position on political and military issues in the arabian
peninsula "1926-1948"**

محمد حسين محمد الشريف
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)
ahmedmch@hotmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
<p>تاريخ الارسال: 2021/05/01</p> <p>تاريخ القبول: 2021/05/21</p> <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ محب الدين الخطيب ✓ شبه الجزيرة العربية ✓ ابن سعود ✓ اليمن 	<p>بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في نوفمبر 1918م بتوقيع الهدنة بين إنجلترا وحلفائها وبين الدولة العثمانية، تبخر حلم الدولة العربية الكبرى بما بينته إنجلترا وفرنسا للعرب. سرعان ما نفذ الإنجليز مخططهم الاستعماري بتقسيم بلاد المشرق العربي. ولم ينج من ذلك إلا شبه الجزيرة العربية المقصودة الأطراف والتي احتفظ فيها كل أمير بما استولى عليه من أراض أثناء الحرب. فكان الشريف حسين ملكاً على الحجاز، وعبد العزيز بن سعود أميراً على نجد... وغيرهما، اللذان دخلا في حرب فيما بينهما لأن كل واحد منهما يريد الاستيلاء على الحجاز لوحده. وقد حرّز في قلب الخطيب دعوة الهاشميين الإنجليز للوقوف إلى صفهم عام 1924م ضد السعوديين. انتصر السعوديون في هذه الحرب وأقاموا دولتهم على أسس إسلامية. وقد أعجب محب الدين الخطيب بذلك إعجاباً شديداً واعتبره نصراً للإسلام وشريعته. وهو أحسن ردّ على ما قامت به تركيا العلمانية من ردة على مقومات شخصيتها الإسلامية.</p>
Article info	Abstract:
<p>Received: 01/05/2021</p> <p>Accepted: 21/05/2021</p> <p>Key words:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ Mohebedine El Khatib ✓ The Arabian Peninsula ✓ Ben Saoud ✓ Yemen 	<p>After the end of the first world war in november 1918, by the truce signature between England with its allies and the Ottoman empire, the dream of the great arab country had evaporated because of England and France's plans. The british soon implemented their colonial scheme of dividing the levant countries. Only the arabian peninsula with cutted edges came throgth this plan, where every prince retained what he seized of lands during the war. Cherif Hussein was a King on Hidjaz, Abdelaziz Ben Saoud a King of Nadjad. They got into a war between them because each of them wanted Alhidjaz for himself. Al Khatib was angry with the hashemites because they asked the British to support them in 1924. The Saoudians won the war and they constructed their country on islamic bases. Mohebedine Al Khatib was very impressed by this achievement and he consideded it an islamic victory and the best response to turkey laïc apostasy on islamic principles.</p>

بعد تولي جماعة الإتحاد والترقي مقاليد السلطة في الدولة العثمانية (1920-1908م) وانقلابها على السلطان العثماني عبد الحميد شددت قبضتها على بلاد المشرق العربي وهو آخر ما بقي لها من البلاد العربية، وحاولت أن تجعل منها مستعمرات لها. وهو ما دفع العرب الثورة عليها عام 1916م لإقامة دولة هاشمية عربية إسلامية كبرى في جنوب غرب آسيا بزعامة الشريف حسين بن علي، وكان محب الدين الخطيب أحد أبرز رجالات هذه الثورة والناطق الرسمي لها عبر صحيفة "القبلة" 1916-1918م "لسان حال الثورة العربية" التي كان يتولى رئاسة تحريرها. وهذا ما دعا جماعة الإتحاد والترقي إلى الحكم عليه بالإعدام غيابياً.

وبعد التآمر الإنجليزي الفرنسي على هذه الثورة عبر اتفاقية سيكس بيكو عام 1916م. وتكريس تقسيم وتفتيت البلاد العربية العثمانية عبر مؤتمر لسان ريمو في أبريل 1920م، ذهب حلم الدولة العربية الكبرى وكُرِّس محلها الانتداب الإنجليزي الفرنسي على بلاد الهلال الخصيب ولم ينجو من هذا التآمر إلا الحجاز التي عرفت صراعاً حامي الوطيس عسكرياً بين الهاشميين والسعوديين الذين انتصروا عليهم انتصاراً باهراً أقاموا من خلاله دولة المملكة العربية السعودية بزعامة عبد العزيز بن سعود. ترى كيف كان موقف محب الدين الخطيب منه؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى الإعجاب به؟ وما دوافع تخليه عن الهاشميين؟ ولماذا أيده في حربه ضد اليمن عام 1934م؟ وإلى غيرها من التساؤلات التي جعلته يتخذ موقفاً منه. وهذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال.

1. وضع الجزيرة العربية خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها

في أواخر القرن الماضي وبداية القرن العشرين لم تكن شبه الجزيرة العربية على هذه الصورة الموجودة عليها اليوم فقد كانت مقسمة إلى أجزاء منفصلة يسيطر العثمانيون على أجزاء كثيرة منها خاصة بلاد الحجاز ومناطق من اليمن والسواحل الشرقية وفي مناطق أخرى كانت السيادة فيها للإنجليز كما هو الشأن في جنوب اليمن (عدن استعمرت عام 1839م) والكويت ومشيخات الخليج العربي وقد ظهر في شبه الجزيرة العربية أعقاب الحكم العثماني عدة أمراء كوّنوا خمس "دول" استأثر رؤساؤها لأنفسهم بامتيازات الحكم المستقل، فهناك الحسين بن علي في الحجاز وعبد العزيز في "تجد" وتوابعها والإمام يحيى في اليمن وابن الرشيد في شمّر والإدريسي في عسير... وقد كان ظهور هذه الدول المستقلة فصلاً جديداً في تاريخ الجزيرة العربية، إذ اشتدّ النزاع بين زعمائها وحاول كل واحد منهم القضاء على الآخر ليتوسع على حساب... فكان الخلاف بين آل سعود وآل الرشيد وأيضاً بين آل سعود والحسين بن علي... وتحولت مناطق الجزيرة العربية إلى ميدان حروب دامية وكانت نتائجها تسير لصالح آل سعود لتبنيهم الحركة الوهابية، فتمكنوا من التخلص من خصومهم الواحد تلو الآخر¹ آل الرشيد، آل الحسين، والإدريسي وختموها بصلح مع الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن سنة 1934م، عرف بمعاهدة الطائف² وهي المعاهدة التي حددت الحدود بين البلدين.

وكان ظهور آل سعود على مسرح الأحداث وإقامتهم للدولة السعودية بداية عهد جديد، عهد الاستقرار والبناء والتشييد وإعطاء المكانة الدولية للملكة العربية السعودية.

والخطيب الذي عاصر وعاش ميلاد هذه الدولة كان معجبا بها لأنه رأى في قيامها تجسيدا للتوحد وتركها للفرقة والانقسام، وأعجب بابن سعود³ مؤسسها والساعي إلى تثبيت أركانها.

2. إعجاب الخطيب بابن سعود وأسبابه

أول ما جذب ابن سعود وجعله يشيد به وبحكمته وأعماله أن رأيته تحمل الشهادتين واللون الأخضر، واعتبر أنها ستكون منهجا للدولة في كل القوانين والانجازات وهو في نظره يعبر عن عمق الإسلام في نفس ابن سعود وتطلعاته إلى فرض أحكام الشريعة الإسلامية التي ألغها أتاتورك وزيانيته من العلمانيين في تركيا.

وقد لمس من ابن سعود التطبيق العملي لروح الإسلام في مصالحته المعلنة ليفصل العراق وكذلك في موقفه الشهم والإسلامي مع ملك اليمن في خلافهما حول بعض مناطق الحدود التي تفصل بين الدولتين، وأنه أول من أثبت واستعمل التاريخ الهجري في البلاد وجعله التاريخ الرسمي، وقضى على بربرية القبائل العربية وحولها من قطاع طرق إلى مواطنين يؤدون فرائض الله ويحراثون ويزرعون ويسبحون ربهم بكرة وعشية بعد سحبه فتنه ابن رفاة.⁴

وتحولت تلك القبائل إلى قبائل جهاد في سبيل الله. فهذه قبيلة حرب تعاتبه لأنه ما أرسل أبناءها لقتال ابن رفاة وكانوا يريدون أن يطيروا إلى غيره أيضا وتلك قبيلة عتيبة تلح عليه أن تشارك في الجهاد وحذا حذوهما عرب شمّر وقحطان وعزرة وبنو تميم.⁵ ومن حق الخطيب أن يفخر بابن سعود بعدما أفقده كمال أتاتورك وأشياعه الصواب بردتهم وبتخليهم عن أحكام الشريعة ومحاربة الإسلام وتترك القرآن الكريم وتلتين اللغة التركية...

وإذا كان أتاتورك قد حرم المسلمين الأتراك من تلاوة القرآن بالعربية وفرض رفع الأذان بالتركية وقضى على الأئمة وغرب قوانين البلاد، فإن ابن سعود أعاد للإسلام هيئته وللعربية كرامتها ومنزلتها وللتاريخ الهجري قيمته وللتشريع الإسلامي وجوده ومنزلته، وأنه المؤهل لقيادة البلاد العربية لإعادة أمجاد العروبة والإسلام وجعل أرض نجد والحجاز قبلة الأنظار ومحل الإعجاب وقدوة الأمم الإسلامية والعربية إلى مستقبل زاهر تحت راية الإسلام.⁶ ولعل من مباركة الله تعالى لهذه الدولة الفتية أن فجر فيها ينابيع البترول لتصبح على رأس الدول المنتجة حتى بلغ إنتاجها خمس الإنتاج العالمي.

وفي أحد مقالاته عنه يقول: "... ابن سعود هو فحل الجزيرة الذي ينشئ وحدتها بحكمته وعقله وإيمانه وإنشاء الملك فن وقف ابن سعود على دخائله منذ كان فتى إلى أن صار للعرب على يده هذا الملك الواسع وأعظم ما يعتمد عليه ابن سعود في إنشاء هذا الملك تكوين المجاهدين وتنوير قلوبهم بنور الإيمان... وابن سعود رفع في جو عسير راية: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بدعوة منه عسير نفسها إذ تنازل له الأدارسة عن الحكم بمعاهدة منشورة مشهورة...".⁷ وفي مقال آخر له يحمد الله تعالى ويثني عليه أن جعل جزيرة العرب

عامرة بجنود الإيمان: "حمدا لك اللهم، حمدا لك اللهم أن أظهرت لشعوب الأرض أن جزيرة العرب آخر حصون الإسلام مازالت عامرة الأرجاء بجنود من أهل الإيمان أشداء على عدوهم رحماء بينهم...".

ولم يقف عند هذا الحد بل نراه يرى في قيام ملك آل سعود معجزة قضت على التفرقة والتناحر وسفك الدماء في الجزيرة العربية وعملت على خلق الأمن والاستقرار في ربوعها والفضل في ذلك كله يعود إلى عبد العزيز آل سعود واضع أسس الدولة السعودية التي جعل منها معقلا للعروبة والإسلام: "...وفي الواقع أن الملك الذي أقام عبد العزيز بنيانه للعرب في موضع القلب من وطنهم الأكبر وللمسلمين حول قبلتهم التي يتوجهون إليها بوجوههم وإيمانهم إن لم يعد معجزة من معجزات السياسة التي تصدر عن رجل فرد يكون هو محورها ومصدرها وموردها فذلك بلا شك مكرمة له من الله عزّ وجل لمزايا فيه جعلته أهلا لأن يكون له هذا المقام في التاريخ وفي الدول المعاصرة له فضلا عن المقام الذي سيكون له عند الله جزاء بما صان من أرواح حجاج بيت الله وأموالهم وبما حقن من دماء القبائل التي كانت من قبله تتناحر وتتذابح فكفّ أيديها عن دمائها وشغلها بطاعة الله والكدح وراء الرزق الحلال والإصغاء إلى مواضع الشرع والصحيح من أوامره ونواهيه والذي يعلم ما كانت عليه تلك الأصقاع من تعدد السلطات وتشتت الكلمة يبتهج أعظم الابتهاج بما صارت إليه وحدة الحكم والتحول من حياة القبيلة إلى حياة الدولة..."⁸.

ويرى أن هدية الملك عبد العزيز للعرب والمسلمين لا تقتصر على إقامة هذه الدولة الواسعة بل تتمثل كذلك في أبنائه الذين يرى فيهم قوة تعمل على حفظ النظام في أوقات السلم واقتحام الأهوال إذا وقعت الحرب فهم بذلك هدية من الله لتوطيد هذا الملك الشاسع فيقول: "...قد يظن العرب والمسلمون أن هدية الملك عبد العزيز للأمة العربية والملة الإسلامية هي هذا الملك الآمن الموحد الذي تحول أهله عن حال الجاهلية إلى طاعة الله واحترام حرّماته ولكن الهدية التي لا تقلّ عن ذلك هي هؤلاء الأشبال من أبناء الملك الذين أكرمهم الله بهم فأقامهم من حوله عمادا لهذا الملك الشاسع الأطراف يسرون بأهله إلى طاعة الله وتوطيد النظام في أوقات السلم ويزحفون بجنده إلى نصر الله واقتحام الأهوال إذا وقعت الحرب ولم يكن لها من دافع..."⁹.

3. النزاع اليمني السعودي عام 1934م وموقف الخطيب منه

وبعد أن وطّد عبد العزيز آل سعود ملكه لم يبق من خصومه سوى الإمام يحيى حميد الدين¹⁰ إمام اليمن ونقطة الخلاف بينهما هي بلاد "عسير" التي افتكها السعوديون بقوة السلاح من الأدارسة، وكانت للإمام يحيى أطماع بها وهذه المنطقة هي التي أدت فيما بعد إلى قيام حروب بين الطرفين.

وقد عمل ابن سعود على تجنب الحرب داعيا نظيره الإمام يحيى إلى سلوك نفس النهج حقنا لدماء الإخوة. ومما كتبه الخطيب في هذا الخصوص: "...لقد طلب ابن سعود من أخيه الإمام يحيى أن يمنع روح العداء الموجودة في بلاده نحو جارتها، سواء كان هذا العداء آتيا من أناس أصلاء في اليمن أو أناس نزلاء فيها وأن يتحالف معه بمعاودة لمدة عشرين سنة وهذا الطلب معقول وضروري وفيه خير لجزيرة العرب ومصصلحة الإسلام فالتردد في تحقيقه جريمة ولكل جريمة عقوبة..."¹¹.

وفي مضمار آخر يقول: "...من ذلك الحين إلى هذين اليومين وابن سعود يوسع صدره إلى هذه الحركات ويحاول حل المشكلة بالحسنى تارة بالاتصال هاتفياً مع الإمام وتارة بالمفاوضات في "أبها" إلى أن عجز عن حمل الجماعة على أن ينسحبوا إلى الحدود التي انتهكوا حرمتها واخترقوها إلى داخل "عسير" وإلى أن عجز عن إقناعهم بكفّ الدسائس مع الأدارسة ومع كل شرير من قريب أو بعيد... إن ابن سعود وقومه أصابهم البغي. "والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون"¹².

ولكن الجانب اليمني لم يصغ إلى هذه المناشدة الطيبة¹³. وأخذ اليمنيون يستعدون للحرب ويجمعون طلائعهم ضاربين عرض الحائط باليد الممدودة إليهم لإنهاء الخلاف سلمياً واشتروا السلاح اللازم من إيطاليا. "...ثلاثة أشهر كاملة كانت اليمن تتأهب فيها للطوارئ البادية طلائعها وكانت "تجد" في شغل شاغل عن كل شيء إلا عن الاستعداد للوقوف في وجه هذه الطوارئ وكان الاستعداد والتأهب آخذين مأخذها تحت جناحين من سكينه وكتمان ووراء حجاب كثيف من غموض جوف جزيرة العرب عن أبصار الإفرنج وسماستهم وأذنانهم، وبينما كانت يد الواحد منا تضغط على قلبه خوفاً من انقراض الرصاصة الأولى بين الفريقين المتأهبين لاقتحام المنايا..."¹⁴.

وحدث ما لم يكن ينتظره آل سعود والأمة الإسلامية جمعاء ف وقعت الحرب وهنا يقول الخطيب: "...والآن وقع ما كان يخشاه المسلمون وكان وقوعه ويا للأسف في الأشهر الحرم بل في أعظم أيامها حرمة أي في أيام الحج..."¹⁵ فاحتلت القوات اليمنية بقيادة الأمير "أحمد" ولي العهد المنطقة النجدية من "تجران" وبعض القرى والمخافر الواقعة وراء هذه المنطقة غير أن السعوديين لم يحركوا ساكناً ليعطوا الفرصة للحل السلمي والتفاهم بين ساسة القطرين الشقيقين. وكتب الخطيب يقول: "إن عسيرا مازالت في تاريخها القريب والبعيد بعيدة عن الرضا بأي اتصال يحدث بينها وبين الأئمة الزيدية وحتى عندما كان الإمام اليمني يناوئ السلطان عبد الحميد على لقب أمير المؤمنين كانت عسير في معزل عن تلك الفتنة ولا تعترف بها".

ووجه انتقاده إلى ولي عهد اليمن موضحاً بأن الله قد أمر أئمة المسلمين بإعداد القوة لمحاربة أعدائهم وليحموا الوطن الإسلامي من الخطر الأجنبي ولينقذوا بقاعه المغتصبة فيعدلوا بين أهله ويقوموا حدود الله فيها وينشروا حسن الرعاية، لا ليزحفوا على أراض إسلامية بعد أن تزودوا بأسلحة ايطالية كان من الأهم توجيهها إلى الانجليز الذين يحتلون أراض في جنوب اليمن، كما عاب على ولي العهد أساليبه في تأليب قبائل "بيشه" على الحكومة السعودية ودفعهم إلى خيانة حكومتهم. واعتبر هذا العمل خيانة كبرى حسب ما يقتضيه القانون الدولي.¹⁶ وأعطى العذر لابن سعود في إنذاره الذي يطلب في فقرته الرابعة: "الكفّ عن أعمال التحريض في داخل المملكة السعودية".

ويقرر الخطيب أن العدوان آت من اليمن وأن اليمن عندما أعطت الأدارسة استقلالاً شبيهاً باللامركزية إنما أعطت ما لا تملكه من حق. وأعطى الخطيب للعالم الإسلامي العذر في جنوحه إلى الاعتقاد بأن كارثة طوائف ملوك الإسلام في الأندلس تتجدد الآن في جوار الكعبة. وأثنى على ابن سعود بأنه لم يتقدم جندي واحد من

جنوده إلى ما وراء الأرض التي هي تحت حكمه كما أتى على سعة صدره وطول أناته.¹⁷ ولكن الحرب سارت على غير الوجهة التي كان يأملها الإمام يحي وأنصاره وحقق آل سعود النصر. وعبر الخطيب عن فرحته الداخلية بقوله: "...انهزمت اليمن بهذه العلة الباطنة لا لأن اليمني أقل شجاعة من النجدي أو الحجازي وانتصرت جيوش الشمال بالأخلاق التي تمكنت منها ومن قادتها لا بأنها أشجع من جيوش اليمن...".¹⁸ "سيف الإسلام أحمد قائم بجيشه على الحدود يعبث بحرمتها ويعيث في ربوعها كأن الربوع ليس لها صاحب أو كأن صاحبها من الذين لا يحسنون الدفاع عما في أيديهم"¹⁹. "...وسيف الإسلام ولي العهد الذي يبطش برعاياه لأقل حركة تصدر منهم وينكل بهم بقسوة وفظاعة هل يعقل أن يكون لطيفا رحيفا رقيقا إلى هذا الحد اتجاه الجيوش التي أثارها بحركاته واجبرها على حربه...". فبالأخلاق انهزم الإمام وجنده وبالأخلاق انتصر السعوديون: "...لم يكن ما وقع من نصر وهزيمة ناشئا عن القوة في جانب والضعف في جانب، فالفريقان عرب والفريقان من أمة حرب لا تعرف للحياة قيمة في ساحات الوغي، ولكنها الأخلاق هي التي انتصر بها المنتصر وانهزم بها المنهزم...".

ولم يقف الخطيب إزاء الحدث مكتوف الأيدي بل عمل قبل وقوعه على تبصير الفريقين بخطورة الحرب وآثارها السلبية على العرب والمسلمين الساعين إلى بناء أمجادهم من جديد والوقوف في وجه المتربصين بهم وما أكثرهم وأهاب بهما اللجوء إلى الحكمة والتعقل والتبصر في عواقب الأمور عملا بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾²⁰.

"...إن هذه الممالك القائمة الآن في جزيرة العرب كانت ومازالت قررة أعيننا ومطمح أمانينا تبهجنا بشرى الفلاح إذا جاءت من أحقر قرية فيها، وتحزننا نبأة السوء نسمعها عن أهون أمر من أمورها، فما بالك بهذه الإشاعات الخطيرة التي تتناقلها الصحف عن استحكام أسباب الشر بين فئتين تتوجهان في صلاتهما إلى بيت الله الحرام وتتكلمان بلغة القرآن وكلاهما من نبات وطن واحد هو جزيرة العرب. ألا مهلا مهلا فالبغي هنا وخيم العاقبة على من يرتضيه لنفسه وحساب الله عسير... أيها الشقيقان المتنازعان في داخل المنزل لا تنسيا أن وراء الباب أناسا ينتظرون اتساع شقة الخلاف بينكما... أيها الشقيقان المتنازعان في داخل المنزل إن المنزل في حاجة إلى تدبير السعاد فيه وتخليصه من الفوضى الغالبة عليه".

"إن العزة اليوم ليست في توسيع حدود الممالك بل بتنظيمها... إن أحوج ما يحتاج إليه كل من اليمن والحجاز في الوقت الحاضر حسن الإدارة وإسناد الأمور إلى أهلها وإرضاء الحق عز وجل بإخلاص الطاعة له وحسن القيام على مصالح عباده..."²¹.

وبعد أن يبين للمتخاصمين بأن الملك بتنظيمه لا باتساعه ضرب لهم مثلا بهولندا الصغيرة المساحة والعدد التي تسيطر على أجزاء واسعة من جاوة وسومطرة وبورنيو، فسيطرتها كانت بالنظام وخضوع سكان المناطق الأخرى كان سببه انعدام النظام.²²

وواصل تقديم نصحه إلى المليكين حاثا إياهما على المحافظة على الأمانة التي بين أيديهما فهي أمانة الله، والاستعداد للقيام بالرسالة الكبرى: "...ليست نجداء والحجاز وعسير ملكا لعبد العزيز بن سعود بل هي أمانة الله تحت يده وليست بلاد إخواننا الزيود ملكا ليحي بن حميد الدين بل هي أمانة الله تحت يده ومن حق هاتين الأمانتين أن تكون منهما قوة يحترم الأغيار اتحادها وصلابتها... وأمة العرب مكلفة برسالة قدسية يجب أن تؤديها للبشر وهي لا تستطيع أن تؤديها مادام لها شاغل من نفسها فلتفرغ منه استعدادا للقيام بالرسالة الكبرى...".²³

ولم يقف عند إبداء موقفه من الحرب الدائرة بين الطرفين بل أظهر أيضا مواقف العالم الإسلامي منها عبر صحيفته الغراء "الفتح" وهي مواقف كلها تتدد بهذه الحرب وتراها عامل ضعف ومما يزيد في تأليب الأعداء عليهما وعلى الإسلام فقال: "...العالم الإسلامي كله استنكر ظهور الفتنة حول عسير وطير البرقيات والرسائل إلى ملكي العرب طالبا منع هذه الفتنة ببقاء كل شيء على ما هو عليه، ولم يستنكر العرب والمسلمون هذه الحركة لأنهم يفضلون الإمام ابن سعود على الإمام يحي أو لأنهم يرون بقاء عسير في يد الإمام ابن سعود خيرا من بقائها في يد الإمام يحي فهذا المعنى لم يفكروا فيه قط ولم يخطر على بالهم، وإنما كانوا يعلمون أن ابن سعود ليس هو ذلك الرجل الذي يؤخذ على حين غرة أو يقف متفرجا على من يريد أن يأخذ من يده شيئا مما في يده فهذه الفتنة تؤدي حتما إلى التحام شطري جزيرة العرب في حرب لم يسبق لها مثيل في عصر من عصور جزيرة العرب ولا يستفيد منها إلا جيران الوطن الذي هو قلب الإسلام...".²⁴ ويتألم على قيام هذه الحرب قائلا: "...إن كاتب هذه السطور كان فؤاده يتقطر حزنا لوقوع ذلك الجفاء بين ملوك العرب...".²⁵

وبعد أن يذكر بأن العرب سئمو الانقسام وتاقت نفوسهم إلى يوم تكون لهم فيه راية واحدة ودولة واحدة ينحو باللائمة في الحرب بين السعوديين واليمنيين على عاتق الإمام يحي قائلا: "...إن العرب سئمو هذه الفرقة التي مزقت شملهم وهم يتربون اليوم الذي تكون لهم فيه راية واحدة ودولة واحدة وخطة واحدة وغاية واحدة والله وحده يهيئ أسباب التوحيد، وأنا شخصا كنت أعلم حرص الملك ابن سعود على اجتناب هذه الحرب، ورغبته العظيمة في أن يظهر في العالم الإسلامي قبل انعقاد مؤتمر "أبها" من يتقدم للوساطة في حسم النزاع وإقناع الإمام يحي وابنه بالكف عن التحرش، ولكن الظاهرين في الميدان من رجال العالم الإسلامي كانت لديهم صوارف عن القيام بهذه المهمة، فابن سعود اجبر عن الحرب إجبارا، ودخل فيها لأنه لم يكن له مناص من الدخول فيها وهو أشد كرها لها من جميع إخوانه المسلمين - لكن الله إرادة في ذلك، والخير فيما اختاره الله. ومهما تكن الحرب مكروهة فقد ترتب عليها الخير لليمنيين الذين انضموا إلى لواء الوحدة وترتب عليها الخير للإسلام بانتعاش الآمال في أن تكون له دولة قوية تحسن القيام على الأمانة التي وضعها تاريخ الإسلام بين أيدينا والله يفعل ما يريد...".²⁶

ولقد تحدت الخطيب كثيرا عن صفات وأخلاق الملك عبد العزيز حيث كان معجبا به مثنيا على خصاله الحميدة خاصة في إثارة وعفوه عند المقدرة... من ذلك استجابته لإمام اليمن عندما قدم له يده طالبا التفاهم

وطي صفحة الخلاف فأجابه عبد العزيز قائلاً: "...لقد رأيت أن أحكم لك على نفسي بالتنازل على جبل "عروة" لمملكة اليمن لأنني رأيت أنه لا يخرج من يد عربية إلا إلى يد أخرى عربية ولا ينفصل عن سلطة إسلامية إلا إلى سلطة أخرى إسلامية فهو هدية العرب للعرب وأمانة المسلم إلى أخيه المسلم"²⁷.

ويعلق على مروءة الملك ابن سعود وما يأمله من ورائها فيقول: "لقد اشترى ابن سعود بجبل "عروة" شيئاً أثنى من كل ثمين، إنه اشترى به صداقة وطيدة لن يفصمها الشيطان بعد اليوم لأنها قامت على خلق الإيثار، وفي الإيثار نفحة من أخلاق القرآن التي كان بها أصحاب رسول الله ﷺ أقوى أمم الأرض -الآن خطت مملكتنا عدنان وقحطان أوسع خطوة إلى (الحلف العربي) فأرجو من الأبوين الشقيقتين الحكيمين ملكي العرب أن يكون تحقيق هذه الأمنية على أيديهما"²⁸. والحقيقة أن المعجبين بابن سعود كثيرون نتيجة ما حققه من انتصارات وتأسيس ملك واسع في ظرف زمني قصير ولم يقتصر الإعجاب به جانب العرب والمسلمين فقط بل تعداه إلى الآخرين أيضاً فحتى الأوربيين انبهروا بما وصل إليه: "...وابن سعود بهر أنظار أوربا بفتحه الأخير لأنه كان كالجراح الماهر الذي قام بعملية جراحية خطيرة في أسرع ما يكون من وقت بأقل من جهد وتضحية فكان كأنه يعقد في تاريخ الإسلام حلقة صنعت على غرار أخواتها في سلسلة المجد الخالد مع الزمن"²⁹. ولم يقف حلم عبد العزيز عند خصمه ملك اليمن بل تعداه ليشمل خصومه الأدارسة حيث خيرهم في الإقامة أينما شاءوا فوقع اختيارهم على مكة فأصدر أمره بإعداد قصر "البو" لإقامتهم فيه³⁰.

وواصل الخطيب إعجابه بالملك ابن سعود مضيفاً بأنه أول ملك عربي فتح للقومية العربية باب التعاون بين أقطارها: "...أنا اعتبر أن الملك الذي كانت رايته ظافرة لما كانت في حالة الحرب هو الذي خسر في نتائجها إذا وزنا الربح والخسارة بموازنين المادة، ولكن ابن سعود كسب في الشرق والغرب هيبة وحرمة يتمناها كل ابن أنثى وكسب عند الله مقاما لا يعرف قدره إلا الذين يفهمون معنى الصداقة الإسلامية والأخوة العربية، وهو أول ملك عربي فتح للقومية العربية في وثيقة رسمية باب التعاون بين أقطارها بما لم يسبق له نظير منذ مزق الدهر وحدة الأمة النبيلة. اللهم اجعله صلحا مباركا على العرب، واجعل فيه عزا للمسلمين"³¹.

وفي معرض تعرض الخطيب للحرب اليمنية السعودية بعدما توقفت أوزارها أعلن بأنه لم يكن محابيا جانبا على جانب في كتاباته عن تلك الحرب وأن منطلقه في كتاباته عنها ولومه لملك اليمن على إسعارها إنما كان إثباتا للقاعدة الإسلامية التي يأمر بها الإسلام وذلك بان ينضمّ إلى جانب الحق لا إلى جانب البطل وأنه من خلال دراسته للحوادث ومراقبته لسيرها واقتناعه بصحة ما عرفه عنها فإنه كان إلى جانب ملك الحجاز وأنه لا يجوز لمسلم بعد أن يقف على وقائع راهنة وحوادث مادية مؤكدة أن يتردد في إعلان الحقيقة وبناء الحكم عليها. فكشف أن الإمام يحي كان واقعا تحت ضغط ابنه "سيف الإسلام أحمد" وجماعته حتى ظن أن الأمر هيّن فحدثت تلك الكارثة التي راح ضحيتها آلاف من القتلى.

وحرصا منه على عدم تكرار مثل هذه المأساة بين دولة إسلامية وأخرى فقد دعا إلى تكوين (جمعية أمم إسلامية) تتألف من طبقة من العلماء المعروفين بالروية والاعتدال في النزعات المذهبية والسياسية ومن الذين

وللحقيقة التاريخية وبعد رجوعنا إلى مجموعة من الكتب التي نتحدث عن هذه المعاهدة ومنها كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) لـ (كارل بروكلمان) وجدنا بأن إمام اليمن كان مكرها على عقد المعاهدة مع بريطانيا لأنه كان أمام خطر الزحف السعودي على بلاده من الشمال، وكان قبلها غير منفيك عن مهاجمة محميتها في "عدن" حتى انه طالب إنجلترا بتخليها عن جميع الأراضي المحتلة، وقد تخلى أخيرا للإنجليز عن جزء من الأراضي التي احتلها، وبقي على نزاع دائم معهم وحتى بعد معاهدة 1934م التي اعترف الانجليز له فيها باستقلال بلاده³⁷. وقد يعيب بعض الكتاب على الخطيب تخليه عن مساندة الهاشميين وتوجهه نحو ابن سعود بعدما كان الناطق بلسانهم عبر صحيفة -القبلة- (1918-1916م)³⁸ التي كان يتولى رئاسة تحريرها وانه كان من المقربين إلى الشريف حسين وهذا الأمر دعا الأتراك إلى الحكم عليه بالإعدام غيابيا لمواقفه القومية وتأييده لقيام دولة عربية هاشمية كبرى.

وحقيقة الأمر أنه ليس من الشخصيات التي يتبدل وجهها ولونها وتتاصر من غلب، إنما القضية أعمق وأهم من هذا فقد رأى في تحول فيصل بن الشريف حسين بعد ذهابه إلى أوروبا وعقده اتفاقية (فيصل)³⁹ -كليمونو⁴⁰ المشهورة التي تنازل بموجبها عن سيادة واستقلال سوريا وقبل بالانتداب الفرنسي وعدم مجابهة الفرنسيين ومن ثمّ تسريح أفراد الجيش العربي السوري وإعلان التنازل عن فكرة تحويل سوريا إلى ثكنة عسكرية أثناء تواجده بفرنسا وهو ما حصل فعلا إذ أصبحت سوريا ثكنة تعج بالمجاهدين لكنه ما أن عاد من فرنسا حتى تهرّب من المجاهدين السوريين ومنهم محب الدين الخطيب نفسه الذي كان من طلائعهم المستعدة لمجابهة فرنسا⁴¹. وكذلك فإنه لم ينس دعوة الشريف حسين للإنجليز عام 1924م بالوقوف إلى جانبه في حربه ضد السعوديين حيث رفضوا الاستجابة لمطلبه بداعي أن البلاد مقدسة عند المسلمين وأن القضية داخلية ودينية ولا مجال لتدخلهم فيها إلا إذا اتفق الطرفان على تحكيمهم مع علمهم بمعارضة السعوديين لهذا التحكيم، لأن الحجازيين اجتمعوا في المسجد الحرام بمكة المكرمة عام 1926م وبايعوا عبد العزيز ملكاً على الحجاز، وأصبح لقبه الجديد "ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها".

ولهذه الأسباب والمواقف المتخاذلة في نظره للهاشميين اتجه الخطيب إلى الإشادة بابن سعود بعدما رأى مواقفه الحازمة وتوجهاته الإسلامية وما حققه على أرض الواقع من وئام وسلام وحرمة للدولة واستقرار أدهش أعداء الإسلام والمسلمين.

خاتمة

خلاصة القول نقول إن الخطيب تحمس لقيام الدولة السعودية لأنه رأى فيها الدولة التي روّضت القبائل العربية وحوّلتهم من قطاع طرق إلى مواطنين صلحاء، ورفعت راية الإسلام وتبنت شريعته بعد أن تخلّت عنها تركيا التي قطعت جميع صلاتها ومقومات شخصيتها مع تاريخها المجيد وتبنيها لسياسة التغريب واعتبار ذلك الخلاص الوحيد لها من التخلف الذي تعاني منه.

أما تخليه عن الهاشميين ومساندة السعوديين ضدّهم فلأنهم دعوا الإنجليز للوقوف إلى جانبهم ضد السعوديين غير أن الإنجليز رفضوا ذلك.

أما فيما يخص موقفه المؤيد للسعودية في صراعها مع اليمن على الحدود فإنه يرى في ذلك الانضمام إلى جانب الحق لا إلى جانب الباطل بناءً على دراسته للحوادث ومراقبة سيرها.

الهوامش:

- 1- راجع أخبار هذا الزحف وأطواره في كتاب أمين الريحاني - تاريخ نجد الحديث - وملحقاته - ط: 2 دار الريحاني للطباعة والنشر - بيروت - 1954م خاصة الفصل: 33- ص: 331 وما بعدها (سقوط الطائف) والفصل: 41- ص: 342 وما بعدها (لشريف حسين).
- 2- معاهدة الطائف 30 مايو 1934م: جاءت على إثر الحرب التي قامت بين اليمن والسعودية والتي لم تدم أكثر من شهرين انهزم فيها إمام اليمن يحي حميد الدين الذي رفض الاعتراف بضم عسير إلى السعودية، لأنه عدّها جزءاً من اليمن رغم محاولة ابن سعود الاتفاق معه بشأن الحدود فلم ينجح. وقد توسط بعض زعماء العرب لحقن الدماء فعقدت بينهما هذه المعاهدة، وفيها اعترف إمام اليمن بحدود المملكة العربية السعودية غير أنها لم تحل المشكل نهائياً بين الدولتين إلى أن وقع البلدان على معاهدة جديدة للحدود في شهر يونيو 2000م وضعا بموجبها حدًا نهائياً للخلاف والنزاع بين القطرين الشقيقين.
- 3- عبد العزيز بن سعود: 1880-1953م هو عبد العزيز بن عبد الرحمان بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود المؤسس الأكبر للدولة السعودية الوهابية في جزيرة العرب، ولد في الرياض بنجد واستقر مع والده في الكويت عام 1891م، قاوم آل الرشيد في الرياض واستولى عليها من جديد وأسس إمارة السعوديين ابتداء من 1902م وأخذ يتوسع في الغزو حتى ضم الإحساء والقطيف وبلاد عسير فأزال بذلك إمارة آل الرشيد ثم الملك حسين بن علي عام 1924م ثم أعلن توحيد المقاطعات في مملكة واحدة تحت اسم -المملكة العربية السعودية- عام 1932م، له الفضل في بسط النفوذ والاستقرار داخل المملكة وفي عهده تطورت الحياة وتحقق الأمن والتقدم من خلال المشاريع العمرانية. دفن في الرياض وخلفه ابنه الملك سعود الأول في الحكم. أنظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، 10 أجزاء، ط2، ج4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1956م، ص: 142-144.
- 4- فتنة بن رفاة: مؤامرة حاكها الضابط البريطاني "كلوب باشا" الذي كان القائد العام للجيش الأردني أيام حكم الأمير عبد الله بن الحسين، وكان الهدف من الفتنة الاستيلاء على المزيد من الأراضي الحجازية وإلحاقها بالأردن كما حصل في ضم ميناء العقبة الحجازي وغيره من المواقع الواقعة شمال الحجاز، وقد مات ابن رفاة ومعه ابنه في معاركهم ضد قبائل نجد السعودية. راجع: محب الدين الخطيب: "بعد مصرع ابن رفاة"، الفتح، العدد: 305، 9 ربيع الثاني 1351هـ، السنة السابعة، ص: 1، راجع كذلك: محب الدين الخطيب: "ست وثائق من جزيرة العرب"، الفتح، العدد: 307، 23 ربيع الثاني 1351هـ، السنة السابعة، ص: 4، 5.
- 5- محب الدين الخطيب: "البدوي اليوم والبدوي أمس"، الفتح، العدد: 307، 23 ربيع الثاني 1351هـ، السنة السابعة، ص: 1 وما بعدها.
- 6- محب الدين الخطيب: "سينات الملك ابن سعود وحسنات مصطفى كمال"، الفتح، العدد: 71، المصدر السابق، ص: 8، 9.
- 7- محب الدين الخطيب: "حقيقة الموقف في عسير، هل يرجع الحسام إلى غمده؟"، الفتح، العدد: 380، 9 شوال 1352هـ، السنة الثامنة، ص: 4.
- 8- محب الدين الخطيب: "الأمير سعود"، الفتح، العدد: 547، 18 صفر 1356هـ، السنة: 11، ص: 3، 4.
- 9- المصدر نفسه: ص: 4.
- 10- الإمام يحي حميد الدين 1869-1948م: آخر أئمة الزيدية باليمن، ولد بمدينة صنعاء قاوم الأتراك، عقد مع بريطانيا معاهدة عام: 1934م التي اعترفت فيها باستقلال اليمن كما وقع في نفس السنة معاهدة الطائف مع السعودية اعترف بموجبها بالحدود بين بلاده والسعودية، اغتيل سنة 1948م. (الزركلي: المرجع السابق، ج: 9، ط: 2، ص: 215، 217).
- 11- محب الدين الخطيب: "هل تكون لجزيرة العرب دولة واحدة؟"، الفتح، العدد: 395، صفر 1353هـ، السنة الثامنة، ص: 2.
- 12- سورة الشورى، الآية: 39.

مواقف محب الدين الخطيب من القضايا السياسية والعسكرية في شبه الجزيرة العربية "1926-1948م"

- 13- محب الدين الخطيب: "لماذا يتحاريان؟"، الفتح، العدد: 390، 5 شعبان 1352هـ، العام الثامن، ص: 1، 2.
- 14- محب الدين الخطيب: "المملكتان العربيتان"، الفتح، العدد: 282، 14 شعبان 1350هـ، السنة السادسة، ص: 1، 2.
- 15- محب الدين الخطيب: "انكشاف البرقع في صنعاء"، الفتح، العدد: 389، 20 ذي الحجة 1352هـ، العام الثامن، ص: 1.
- 16- محب الدين الخطيب: "يرهفون سيوفهم لقتال المسلمين"، الفتح، العدد: 372، 5 شعبان 1352هـ، العام الثامن، ص: 1، 2.
- 17- محب الدين الخطيب: المصدر نفسه، ص: 2.
- 18- محب الدين الخطيب: "الأخلاق هي التي انتصرت"، الفتح، العدد: 394، 26 محرم 1353هـ، السنة الثامنة، ص: 2.
- 19- محب الدين الخطيب: المصدر نفسه، ص: 3.
- 20- سورة الحجرات، الآية: 9.
- 21- محب الدين الخطيب: "المملكتان العربيتان"، الفتح، العدد: 271، 26 جمادى الأولى 1350هـ، السنة 6، ص: 1، 2.
- 22- محب الدين الخطيب: المصدر نفسه، ص: 2.
- 23- محب الدين الخطيب: "هل تكون لجزيرة العرب دولة واحدة؟"، الفتح، العدد: 395، المصدر السابق، ص: 2.
- 24- محب الدين الخطيب: "اتفاق العرب"، الفتح، العدد: 383، غرة ذي الحجة 1352هـ، العام الثامن، ص: 2.
- 25- محب الدين الخطيب: "انكشاف البرقع في صنعاء"، الفتح، العدد: 389، المصدر السابق.
- 26- محب الدين الخطيب: "الأخلاق هي التي انتصرت"، المصدر السابق.
- 27- محب الدين الخطيب: "المملكتان العربيتان"، الفتح، العدد: 282، المصدر السابق، ص: 2.
- 28- محب الدين الخطيب: المصدر نفسه.
- 29- محب الدين الخطيب: "الأخلاق هي التي انتصرت"، المصدر السابق، ص: 3.
- 30- محب الدين الخطيب: "من زمن عبد الحميد إلى زمن عبد العزيز"، الفتح، العدد: 404، 7 ربيع الثاني 1353هـ، السنة التاسعة، ص: 2 وما بعدها.
- 31- محب الدين الخطيب: "من الحرب إلى السلم"، الفتح، العدد: 401، 16 ربيع الأول 1353هـ، السنة التاسعة، ص: 10.
- 32- سورة الحجرات، الآية: 9.
- 33- محب الدين الخطيب: "موقف المسلمين من الحرب في جزيرة العرب"، الفتح، العدد: 396، 11 صفر 1353هـ، العام الثامن، ص: 1 وما بعدها.
- 34- المصدر نفسه.
- 35- محب الدين الخطيب: "انكشاف البرقع في صنعاء"، المصدر السابق، ص: 2.
- 36- المصدر نفسه.
- 37- راجع، ص: 754 من الكتاب المذكور أعلاه، مرجع سابق.
- 38- أنظر إبراهيم عبده: سيرة من الحرمين، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر، 1385هـ/1961م، ص 18، 35.
- 39- الأمير فيصل 1883-1933م: هو فيصل بن الحسين بن علي الهاشمي من أشهر ساسة المشرق العربي في العصر الحديث ولد بالطائف ورحل مع والده إلى الأستانة عام 1891م، ثم اختياره نائباً عن جدّه في مجلس النواب العثماني عام 1909م ودخل جمعية "العربية الفتاة" السريّة وسمي قائداً للجيش العربي في الشام، قاتل إلى جانب القوات البريطانية في الحرب العالمية الأولى ودخل سورية عام 1918م بعد جلاء الأتراك عنها، وقد سافر إلى باريس للمفاوضة في مؤتمر الصلح وعاد إلى سورية عام 1920م، حيث سمي ملكاً دستورياً عليها لكنه سرعان ما غادرها إلى العراق عقب احتلال الفرنسيين لدمشق في يوليو 1920م، وبعد جولاته في البلدان الأوربية دعت بريطانيا لتولي الملك في العراق عام 1921م، حيث ربط العراق بمعاهدات بريطانية وتوفي فجأة في سويسرا. (الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص: 372، 373).

40- جورج كليمنصو Georges Clémenceau: رئيس وزراء فرنسي تولى الوزارة عقب الحرب العالمية الأولى 1917م، ووقع معاهدة فرساي للسلم عام 1919م، وقد لقب بمسقط الوزارات ثم لقب بالنمر واتهم بعمالته لبريطانيا، فشل في رئاسيات 1920م. سخرَ نهاية حياته للسفر والكتابة. توفي يوم 23 نوفمبر 1929م. أنظر:

Chronique du 20e siècle (Jacques le grand-Larousse-août 1990- Paris- 6e- France.

41- للاطلاع أكثر عن الموضوع أنظر مذكرات محب الدين الخطيب، الثقافة "مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر"، السنة الثانية، العدد: 16، رجب- شعبان 1393هـ، أوت- سبتمبر 1973م، ص، ص 85، 86.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مذكرات الخطيب قد نشرت لأول مرة في الجزائر عام 1972م/1391هـ في حلقات بمجلة الثقافة التي كانت تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، وقد أجلى الحقيقة الدكتور ناصر الدين سعيدوني للدكتور سليمان موسى في كتابه وجوه وملاح ص144، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، بينما نشرت هذه المذكرات في دمشق عام 1979م/1399هـ من طرف مطبوعات جمعية التمدن الإسلامي التي أدعت خطأ بأنها تكشف عن هذه المذكرات لأول مرة وبذلك يكون دكتورنا الفاضل قد صحح ما ذهب إليه تلك الجمعية وأوضح هذه الحقيقة التاريخية إلا أنه وللحقيقة دائما أذكر مجلة الأوقاف الإسلامية التي تصدرها مديرية الأوقاف العامة بسوريا في عددها التاسع الصادر في جمادى الأول 1365هـ فقامت بمناسبة عيد الجلاء بنشر 13 صفحة من مذكرات الأستاذ محب الدين الخطيب.